(٦) خطبة جامعة له ﷺ
فى التحذير من الفتن

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب بعد العصر ، فقال :

« أما بعد .. فإنَّ الدُّنـيا خَضِرةٌ حُلوةٌ(١)، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكم فيها فناظِرٌ كيفَ تَعملون ، فاتَّقُوا الدُّنيا واتَّقُوا النِّسَاءَ ، فإنَّ أول فتنةِ بنى إسرائيلَ كانتْ فى النِّسَاء ، ألاَ إنَّ بنى آدمَ خُلقـوا علَى طَبقات شتَّى : منهم مَنْ يُولَدُ مؤمناً ويَحيا مؤمناً ويموتُ مؤمناً(٢) ، ومنهم مَنْ يُولَدُ كافراً ويحيا كـافراً ويموتُ كافراً(٣)، ومنهم مَنْ يُولَدُ مـؤمناً ويَحيـا مؤمناً ويَموتُ كافراً(٤)، ومنهم مَنْ يُولَدُ كافـراً ويَحيا كافـراً ويموتُ مؤمناً(٥) . ألا إنَّ الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ فى جوفِ ابنِ آدمَ ، ألاَ تَرَوْنَ إلى

---

(١) أى : خضرة المنظر ، حلوة المذاق ، وقد شبهها النبى ﷺ بهذا من حيث الرغبة فيها والإقبال والتكالب عليها .

(٢) وهو السعيد فى الدارين .

(٣) وهو الشقى وإن نعم بمظاهر الحياة وزخرفها .

(٤) وهو الذى يسبق عليه الكتاب فيعمل ظاهراً عمل الأبرار وحقيقته أنه رياء وشرك حتى يموت على ما عليه الكفار .

(٥) وهو من يثوب إلى رشده ويتوب من ذنبه ويعمل بعمل الأتقياء البررة حتى يموت عليه فيختم له بالسعادة .

حُمْرَةِ عينيه وانتفاخِ أوْدَاجِه ؟ فإذا وجدَ أحدُكم شيئاً مِنْ ذلكَ فالأرضَ الأرضَ[1] ، ألاَ إنَّ خيرَ الرجالِ مَنْ كانَ بطيءَ الغضبِ سريعَ الرِّضَا ، وشرَّ الرِّجَال مَنْ كانَ سريعَ الغضبِ بطيءَ الرِّضَا . فإذا كانَ الرجلُ بطيءَ الغضبِ بطيءَ الفَيْءِ[2] ، وسريعَ الغضبِ سريعَ الفَيْءِ: فإنها بها[3] . ألاَ إنَّ خيرَ التجَّارِ مَنْ كانَ حسنَ القضاءِ حسنَ الطلبِ ، وشرَّ التجَّارِ مَنْ كانَ سيِّئَ القضاءِ سيِّئَ الطلب . فإذا كانَ الرجلُ حسنَ القضاءِ سيِّئَ الطلبِ ، أو كانَ سيِّئَ القضاءِ حسنَ الطلب : فإنها بها . ألاَ إنَّ لكلِّ غادرٍ لواءً يومَ القيامةِ بقَدْرِ غَدْرتِه[4] ألاَ وأكبرُ الغَدْرِ غَدْرُ أميرِ عامةٍ ، ألاَ لا يمنعنَّ رجلاً مهابةُ الناسِ أنْ يتكلَّم بالحقِّ إذا عَلِمَهُ[5] ، ألاَ إنَّ أفضلَ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ[6]» .

ولم يزل يخطب ﷺ حتى لم يبق من الشمس إلا حُمرة على أطراف السَّعف[7] . فقال :

---

(١) أى : فليلزمها وليجلس إن كان قائماً ، أو ليضطجع إن كان جالساً ، لأن تغيير الحالة التى كان عليها سيذهب حدة غضبه .

(٢) أى : الرجوع . (٣) أى : هذه بهذه .

(٤) أى : فإن كانت غدرته كبيرة فلواؤه كبير ، والعكس كذلك ، وهو عبارة عن فضيحته يوم القيامة أمام الخلائق .

(٥) أى : إذا عرف تفاصيله ، وجب عليه أن يكون شجاعاً به .

(٦) جائر ، أى : ظالم .

(٧) السَّعف - بفتحتين - : جريد النخل وعليه الخوص .

« ألاَ إنَّ مثلَ مـا بَقِيَ مِنَ الدُّنيـا فِيمَـا مَضَى مِنْهَـا مثلُ مـا بَقِيَ مِنْ يَومِكمْ هَذا فِيمَا مَضَى مِنْه » .

(أخرجه أحمد، والترمذى، والحاكم، والبيهقى. وفيه على بن زيد ابن جدعان، ضعيف).

فى هذه الخطبة الجامعة: أشار النبى ﷺ إلى عدة ملاحظات، منها:

الإشارة إلى خطورة الدنيا، فبين أنها خضرة المنظر حلوة المذاق. ثم يحذرنا منها، فيقول: « **فاتقوا الدنيا** » وذلك لأنها إذا أقْبَلَتْ بَلَتْ، وإذا أدْبَرَتْ بَرَتْ، وإذا حَلَتْ أوْحَلَتْ، وإذا جَلَتْ أوْجَلَتْ، وإذا كَسَتْ أوْكَسَتْ، وإذا دَنَتْ أوْدَنَتْ . .

هِيَ الدُّنيا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيْهَا ... حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَلاَ يَغْرُرْكُمُو مِنِّى ابْتِسَامٌ ... فَقَوْلِى مُضْحِكٌ والفِعْلُ مُبْكِ

ثم يحذِّر النبى ﷺ بعد ذلك من فتنة النساء: لأنهن حبائل الشيطان . وفخوخه، وهن ناقصات عقل ودين.

وفى حديث شريف أخرجه ابن ماجه، يقول النبى ﷺ:

« يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ .. تَصَدَّقْنَ وأكْثِرْنَ مِنَ الاستغفارِ فإنِّى رأيتُكنَّ أكثرَ أهلِ النارِ » . فقالت امرأة منهن جَزْلة[1]: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ . قال: « تكثرنَ اللعنَ ، وتكفرنَ العشيرَ ، ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لِذِى لبٍّ منكنَّ » . قالت: يا رسول الله . . وما نقصان العقل والدين ؟ . قال: « أما نقصانُ العقل فشهادةُ امرأتين تعدلُ شهادةَ رجل : فهذا من نقصان العقل . وتمكثُ الليالى ما تصلِّى[2]، وتفطرُ فى رمضان[3]: فهذا من نقصان الدِّين » .

وفى رواية : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أسْلَبَ للبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداهنَّ ، لو صنعتَ معها الدهرَ معروفاً ثم رأتْ منكَ إساءةً واحدةً ، قالتْ : ما رأيتُ منكَ خيراً قطّ » .

ثم بعد ذلك يشير إلى طبقات بنى آدم التى خُلقوا عليها، وذلك حتى نسأل الله تعالى دائماً وأبداً حسن الختام، فقد ورد عن أنس أن النبى ﷺ ، قال: «إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً اسْتَعْمَلَهُ » قيل: كيف يستعمله؟ قال: « يُوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ ثم يَقْبضُه عليه »

(أخرجه أحمد، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم)

---

(١) جزلة - بفتح فسكون - أى : ذات رأى .

(٢) ، (٣) أى: بسبب الحيض والنفاس ، وهى بعد ذلك - أى: بعد طهرها - تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة .

كما يشير الرسول ﷺ إلى خطورة الغضب الذى من أهم مخاطره أنه كما قال سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه : «**يسفِّهُ الحليمَ ، ويطيشُ العالمَ، ويفقدُ معه العقلُ ، ويظهرُ معه الجهلُ** » ، ولهذا فقد قال الرسول ﷺ لرجل سأله أن يوصيه : « **لا تَغْضَبْ** » فردَّد مراراً، قال : «**لا تَغْضَبْ** » . . (رواه البخارى)

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ ، قال :

« **ليسَ الشَّديدُ بالصُّرعةِ**(١) **إنَّما الشَّديدُ الذى يَملكُ نَفْسَهُ عندَ الغضبِ**» . . (رواه البخارى، ومسلم، وغيرهما)

ثم إذا كان الرسول ﷺ قد ختم خطبته بقوله : « **ألاَ إنَّ مثلَ ما بَقِىَ مِنَ الدنيا ..** » إلخ : فإنه صلوات الله وسلامه عليه يريد أن يذكِّرنا بأن الدنيا كما تحدَّث الله سبحانه وتعالى عنها فى قرآنه : ﴿**لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا**﴾(٢) ، وأن ما بقى من الدنيا سيمضى مسرعاً.

وفى هذا يقول الشاعر :

ومَـا دُنْيَـاكَ إلاَّ مِـثْلُ ظِلٍّ أَظَلَّكَ ثُمَّ آذَنَ بِـارْتِحَـالِ

---

(١) أى : الذى يصرع الرجال بقوته الجسدية .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ .

فلنتعظ جميعاً بكل هذا ، ولنكن من الذين يعتبرون الدنيا قنطرة عبور ، أو مزرعة لآخرتهم ، التى إليها مرجعهم ، وفيها جزاؤهم . .

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾(١) .

* وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

« إنَّ الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ ، وإنَّ الله تعالى مُستخلفُكم فِيها ، فينظرُ كيفَ تَعملونَ ، فاتَّقُوا الدُّنيا واتَّقوا النِّساءَ » .

(رواه مسلم ، والنسائى)

وزاد : «فَما تَرَكْتُ بَعْدِى فِتنةً أضَرَّ علَى الرجالِ مِنَ النِّسَاء » .

* * *

(١) سورة النبأ : ٤٠ .